جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد الثامن والثلاثون
الجزء الأول / شباط /٢٠٢٠

صراع القوى الأوربية على القرن الأفريقي وأثاره

م.م. إنعام عبد العظيم الشاهي م.م. محمد حسن عبيد
جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

الملخص ..

شهدت الصومال تجربة أستعمارية بالغة القسوة ، تمثلت بالصراع الأوربي في المنطقة أواخر القرن التاسع عشر ، إذ خضعت لإحتلال ثلاث دول أوربية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) ، فضلاً عن أحتلال أثيوبيا لإقليم الاوغادين الصومالي وهو ما تسبب في تمزيق أوصال الصومال ، وهذا كان بدوره واحداً من الأسباب التي يعاني منها القرن الأفريقي من مشكلات في الحدود أو أختلافات في توزيع القبائل أو فصل لأبناء الوطن الواحد ، فضلاً عن تدخل الدول الكبرى في شؤون تلك البلاد ، ويعود في الأصل إلى تلك الحقبة من القرن التاسع عشر التي تمثلت بإنسحاب مصر مضطرة من القرن الأفريقي ، ثم التكالب الأوربي على المنطقة والذي لعبت فيه بريطانيا وغيرها من الدول العظمى في تلك الحقبة دوراً لا يمكن أن نغفله عندما نتحدث عن مشكلات القرن الأفريقي .

The struggle of European powers over the Horn of Africa and its effects

Abstract ..

Somalia witnessed a very harsh colonial experience, represented by the European conflict in the region in the late nineteenth century , was under the occupation of three European countries (Britain , France and Italy) , as well as the occupation of Ethiopia to the Ogaden region , which caused the dismemberment of Somalia, which was one of the reasons that suffers Including the Horn of Africa today of border problems or differences in the distribution of tribes or separation of the people of the homeland or the intervention of major countries in the affairs of this country, which originally dates back to that era of the nineteenth century, which began with the withdrawal of Egypt forced from the Horn of Africa Britain and other great powers of the era played a role that we cannot overlook when we talk about the problems of the Horn of Africa.

المبحث الأول

نهاية الوجود المصري وبداية السيطرة البريطانية على الصومال

كان من الطبيعي أن تتجه انظار الدول الاستعمارية الاوربية الى الصومال بموقعه الاستراتيجي الفريد على البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وتحكمه في الطرق التجارية الهامة التي تؤدي إلى الهند وجنوب شرق أسيا من ناحية وإلى البحر الأحمر والمتوسط من ناحية أخرى ، مما جعله محط أهتمام مختلف القوى الاستعمارية الاوربية ، التي قسمت الصومال الى مناطق جغرافية عرفت بأسم الصومال البريطاني والفرنسي والايطالي . (١)

وقد مثل القرن الأفريقي (٢) صورة واضحة للسياسة الاستعمارية في هذه المنطقة ، ففي النصف الأول من القرن السادس عشر بدأ اهتمام الدولة العثمانية بالبحر الأحمر لمواجهة الغزو البرتغالي ، حيث خرج أسطول عثماني ضخم من ميناء السويس في عام ١٥٣٨ فأستولى على عدن ، كما أحتل العثمانيون جزيرة مصوع في ارتيريا ، فكانت نقطة الاطلاق على بلاد على بلاد الشاطئ (أرتيريا الحالية) ، واطلق العثمانيون على هذا الساحل من سواكن الى مصوع ولاية الحبش ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحول البحر الأحمر إلى أهم شريان للمواصلات البحرية خاصة بعد اكتشاف البخار وأستخدامه في المواصلات البحرية ، وقد أزدادت تلك الأهمية بعد فتح قناة السويس للملاحة البحرية عام ١٨٦٩ ، إذ أخذت الدول الأوربية في أواخر القرن التاسع عشر بالتسلل إلى شرق افريقيا بطرق الخداع والمكر تارة ، وتارة بأسم الشركات الأجنبية أو عن طريق المعاهدات مع السلاطين ، وأخرى بصفة تأجير الموانئ من أفريقيا وادركت مصر أهمية هذا الساحل ، فعملت على تثبيت أقدامها هناك قبل أن تسبقها الدول الأخرى ، ببسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر . (٣)

وقد مر التوسع المصري بمراحل عدة المرحلة الأولى على زيلع في عام ١٨٧٥ ثم امتدوا بعد ذلك الى نهر الجوبا وارسلت مصر حملة غادرت السويس في نفس العام بقيادة ماكيلون باشا ، مدير الموانئ والمنارات المصرية ، ووصلت الى رأس حافون الواقعة جنوب جردفون في الخامس عشر من تشرين الأول من نفس العام ، ثم الى قسمايو ، وكان الهدف من هذه الحملة الوقوف في وجة الأطماع الأستعمارية الأوربية لاسيما بريطانيا التي اجبرت مصر على الموافقة بتحديد رأس جردفون نهاية للسيادة المصرية على الساحل الشرقي لإفريقيا بموجب اتفاق وقع بين الطرفين في السابع من أيلول عام ١٨٧٧ ، إذ اعترفت بريطانيا بالسيادة المصرية على ساحل الصومال حتى رأس حافون الواقع على بعد ٢٠٠ ميل إلى الجنوب من رأس جردفون . (٤)

إلا أن بريطانيا أشترطت في تلك المعاهدة تعهد الدولة العثمانية بعدم إعطاء أي أمتياز لدولة أجنبية من سواحل بلاد الصومال أو من المناطق التي دخلت في حوزة الحكومة المصرية ، إلا أن الباب العالي لم يصدر التعهد المطلوب ، فأعتبرت بريطانيا تلك المعاهدة غير كاملة . (٥)

فأتخذت بريطانيا من ذلك ذريعة لأحتلال بربرة التي تمد عدن بحاجتها الرئيسية من المؤن ، اخذت تضغط على حكومة مصر لسحب قواتها من الصومال ، واوكلت المهمة في الثامن عشر من حزيران عام ١٨٨٤ إلى الميجو هنتر (F.HUNTER) (٦) أحد رؤساء البحرية البريطانية والمقيم السياسي المساعد في عدن والذي عينته بريطانيا قنصلاً بسواحل الصومال منذ عام١٨٨١ لأنهاء الوجود المصري . (٧)

سافر هنتر إلى بربرة لا خلاء القوات المصرية عنها وتمكن من ان يحصل على توقيعات مشايخ بعض القبائل وأخذ التنازل المطلوب عن اراضيهم للسلطات البريطانية مثل قبيلة (هبر اول) وتوقيعهم معه اتفاقيات الحماية ايذاناً للقدوم البريطاني إلى بربرة ، بعد أن أغرى السكان وشيوخ القبائل بالأموال مع تهديدات صارمة إذا عارضوا وجود بريطانيا ، وعلى هذا الاساس أضطرت مصر إلى سحب قواتها من تلك المناطق بسبب أزدياد النفوذ البريطاني وضغطة على خديوي مصر لوقف سياسته . (٨)

وقد ترتب على انسحاب مصر من شرق افريقيا اتاحة الفرصة امام الدول الاستعمارية بريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا لبسط نفوذها في المنطقة واعادت تقسيمها ودار صراع بين تلك القوى خلال انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ . (٩)

وبذلك خططت وقسمت القوى الأستعمارية لاسيما بريطانيا المنطقة بشكل لا يتفق مع توزيع السكان والقبائل ولم تراع فيه مصالح الشعب الصومالي بقدر ما كانت تحاول الدول السيطرة والسيادة على مناطق نفوذ لحسابها .

المبحث الثاني

الأطماع الأوربية في القرن الافريقي

كان اول وجود أوربي منظم على ساحل الصومال قامت به وحدة بريطانية حاصرت سواحل الصومال منذ عام ١٨٢٥ حتى عام ١٨٣٣ ؛ نتيجة لقيام بعض الوطنيين في بربرة بالاعتداء على بحارة الباخرة الانكليزية ماري أن (**Marg Ann**) التي كانت قادمة من بومباي وتوقفت في بربرة ، ولم يفك الحصار ، إلا بعد أن قامت السلطات الصومالية بدفع ستة الاف جنيه غرامة وتعويضاٍ للباخرة . (١٠)

ونظراً لأهمية عدن الاستراتيجية وتوسط موقعها بين مستعمرة جنوب افريقيا والهند فأن السيطرة عليها يسهل السيطرة على ساحل افريقيا الشرقية من جهة ، وسواحل شبه الجزيرة العربية من جهة أخرى ، لذا ركزت السيطرة في عدن منذ عام ١٨٣٩ (١١) ، بعد ان قامت سفينتان حربيتان بريطانيتان بحصار شواطئ الصومال مرة اخرى ؛ نتيجة لهجوم بعض الوطنيين على بعثة انكليزية كان يقودها الرحالة (بيرتون) ونتجت عن مقتل عدد من رجاله ، وبذلك دفع الصوماليون غرامة قدرها (١٥,٠٠٠) تعويضاً عن الحادث . (١٢)

وبعد ذلك عقدت معاهدة تجارية مع حاكم بربرة تضمنت حق استخدام بريطانيا للميناء وتعيين مقيم بريطاني لها ، وبذلك بدأ الاهتمام البريطاني بالساحل الصومالي بعد أحتلال عدن في التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٨٣٩ ؛ وذلك لاستخدامها كمحطة لتموين السفن البريطانية بالفحم والمياه والمؤن اللازمة نظراً لموقعها المتوسط بين بومباي والسويس من جهة وصلاحية مينائها للملاحة طول السنة من جهة أخرى ، وكذلك وجد البريطانيون في عدن قاعدة دفاعية امامية ؛ لأن بريطانيا بدأت تتخلى عن مبدأ حرية التجارة ، واخذت تتغمس مجال التوسع الاستعماري . (١٣)

نستنتج مما سبق يعد أحتلال بريطانيا لعدن بداية للتكالب الأوربي على منطقة القرن الأفريقي ، وفاتحة التسابق الدولي لغرض السيطرة على تلك الجهات .

ونظراً لأن عدن فقيرة الموارد ولا تستطيع ان تمد الحامية البريطانية بحاجتها من الغذاء ، فقد أتجهت أنظار البريطانيين إلى الساحل الصومالي لكي يتخذ منه مورداً لتزويد حاجيتها من اللحوم بالذات . (١٤)

وفي الفترة ما بين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ كانت صيغة المعاهدات المبرمة بين بريطانيا وشيوخ القبائل ، عبارة عن ديباجة وخمس مواد ، فالديباجة تعبر عن رغبة زعماء القبائل بالدخول في معاهدة

مع الحكومة البريطانية لصيانة الاستقلال وحفظ النظام وغيرها ، وكانت تتخلص تلك المعاهدات ضمان حرية السفن البريطانية ومرورها بالمياه الصومالية وتأكيد سلامة رعايا الحكومة البريطانية ، وكذلك عدم تنازل أهالي المنطقة عن أي جزء من اراضيها لتحتله دولة اخرى غير بريطانيا ، علاوة إلى بنود اخرى للمحافظة على الأمن والنظام العام، والغاء تجارة الرقيق، بحيث يحق للسفن البريطانية مصادرة الرقيق الذي تحمله . (١٥)

ونتيجة لذلك واصلت بريطانيا بسط نفوذها وسيطرتها على أنحاء الشمال على الرغم من التذمر والمعارضة من قبل السكان مستخدمة الأغراءات المالية تارة والقوة والبطش تارة أخرى ، وعقدت اتفاقيات مع شيوخ القبائل ورؤساء العشائر في المنطقة الغربية ، إوسعت نفوذها في إقليم هود (١٦) كجزء من هذه الاتفاقيات ، وعندما ظهرت بريطانيا في شرق أفريقيا أمتد نفوذها إلى أقصى الجنوب عند الحدود الكينية وهي منطقة أنفدي (**NFD**) (١٧) ، فقامت بمناورات ومحاولات كان هدفها الحد من الحركة الطبيعية للصوماليين في ارض انفدي تمهيداً لاستيلاء عليها فعقدت اتفاقيات الحماية قسراً مع بعض الشيوخ القبليين . (١٨)

وبذلك أستمر الأحتلال البريطاني في الصومال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كما ارتبط اسمها بعد الحرب بتمزيق أوصال الصومال وتوزيع اجزائه وشهدت البلاد طيلة هذه السنوات أعنف أنواع المقاومة الذي قادها الزعيم محمد بن عبد الله حسن وأكثرها استمراراً ضد الأحتلال البريطاني والمتمثلة بثورة الدراويش . (١٩)

أما فيما يتعلق بالإيطاليون فقد وجهوا أهتمامهم إلى ساحل البحر الأحمر الغربي منذ أواخر الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، كما كانت تتطلع الى سواحل المحيط الهندي التي تطل عليهم ممتلكات سلطان زنجبار ، حيث كانت الدول الاستعمارية الأخرى قد زاد نشاطها في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، والتي عرفت بـ" **سنوات أغتصاب افريقيا** " والتكالب الاستعماري على افريقيا بكونها فريسة الأطماع الاستعمارية ، تتقاسمها الدول الأوربية وهي فرنسا وإيطاليا وبريطانيا والمانيا والحبشة (٢٠) ، وبطبيعة الحال فأن دخول إيطاليا في ميدان المنافسة الدولية بتقسيم الصومال كان متاخراً بالنسبة إلى بقية الدول الأستعمارية إلى شرق أفريقيا ؛ والسبب يعود إلى أنشغالها في أستكمال وحدتها السياسية التي تمت في عام ١٨٧٠ . (٢١)

أرسلت ايطاليا بعثة بقيادة الكابتن تشكي (**Cecchi**) على السفينة الحربية (بار باريجو) عام ١٨٨٥ الى مصب نهر جوبا وكلفته بالإبحار في النهر حتى اخر نقطة صالحة للملاحة فيه، وزيارة

اقاليم الصومال وإعداد تقرير شامل عن تلك المناطق ، وكلفته ايضاً بأن يعبر بلاد الجالا ومحاولة العثور على طريق يوصل بين منطقة الكافا ونهر جوبا ، وكانت تلك المناطق غنية ووفيرة بالمحصولات [٢٢] ، وفي الوقت نفسه تمكنت من عقد معاهدة مع سلطان زنجبار برغش [٢٣] ، في الثامن والعشرين من أيار ١٨٨٥ ، وبمقتضاها حصل الإيطاليون على أمتيازات في أملاك السلطان وبعد أن ثبتت أقدامها على الساحل الصومالي المطل على المحيط الهندي أندفعت لمد نفوذها الاستعماري إلى قسمايو وغيرها من الموانئ الهامة على الساحل مثل مقديشو[٢٤] ومركا وبراوة وعرفت إيطاليا أن الاستيلاء على تلك الموانئ لن يتم إلا بموافقة بريطانيا التي اطلقت يدها في تنفيذ مشروعاتها . [٢٥]

إذ وقفت بريطانيا لجانب إيطاليا ، إلا أن بريطانيا كانت في ذلك الوقت في مأزق ؛ نتيجة الثورة المهدية في السودان وهاجس الخوف من التوسع الفرنسي ، ولذلك كانت بريطانيا ترحب بوجود قوة اوربية اخرى غير معادية تلعب دور الحارس لها في المنطقة . [٢٦]

أستخدمت الحكومة الإيطالية في تنفيذ مخططها على نفس الوسائل التي استخدمها البريطانيين في بسط نفوذهم في مناطق أخرى من القارة عن طريق عقد المعاهدات فأدعت ان سلطان هوبيا (**obbia**) يوسف علي يوسف هو وغيره من شيوخ الصومال المستقلين في المنطقة الواقعة بين بداية الصومال البريطاني المطل على خليج عدن وبين النهاية الشمالية لأملاك سلطان زنجبار قد أبدوا رغبتهم في وضع بلادهم تحت الحماية الايطالية ، ولم تمانع بريطانيا ذلك ، وعليه نجحت ايطاليا بالحصول على توقيع سلطانها على وثيقة وضع بلاده تحت الحماية الإيطالية كان ذلك في الثامن من شباط عام ١٨٨٩ . [٢٧]

كما نجحت إيطاليا في الحصول على توقيعات مماثلة من عدة شيوخ اخرين ، وبناء على ذلك وعلى ما نص عليه مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ ، قامت الحكومة الايطالية في العشرين من أيار ١٨٨٩ بأبلاغ الدول ببسط حمايتها على أراضي الصومال الواقعة بين الصومال البريطاني واراضي سلطان زنجبار . [٢٨]

بعدها أعلنت إيطاليا للدول الأوربية في عام ١٨٨٩ حمايتها على الساحل الشرقي لأفريقيا الممتد من الحدود الشمالية لقسمايو حتى نهاية سلطنة هوبيا ، وكلفت في عام ١٨٩٠ الشركة الايطالية لشرق أفريقيا لإدارة تلك الاملاك [٢٩] ، وقد تطلب الوضع في شرق أفريقيا ضرورة تجديد مناطق النفوذ بين إيطاليا وبريطانيا ، ومن ثم أبرمت في روما بروتوكولات في الرابع والعشرين من

أذار والخامس عشر من أيار عام ١٨٩١ لهذا الغرض ، وبذلك صار لها الحق في أدارتها بوساطة أحدى الشركات الإيطالية لمدة خمسة عشر سنة ، ويمكن تجديدها لمدة خمسة وعشرين عاماً اخر حيث اشترت ميناء مقديشو من سلطان زنجبار . (٣٠)

ولم يتوقف الأمر عند هذا الأمر بل عقدت أتفاقية أخرى بين إيطاليا وبريطانيا في الخامس من أيار عام ١٨٩٤ لتحديد الحدود ، وفيها تنازلت بريطانيا عن رأس نحر وقوي وجميع المناطق المحيطة به الى إيطاليا ، لذا صار ساحل الصومال الإيطالي يمتد من نهاية الصومال البريطاني الى نهر جوبا جنوباً . (٣١)

وهكذا فرضت ايطاليا حمايتها على ساحل بنادر الذي أصبح نواة لمستعمرة (الصومال الايطالي) ، وذلك بمساعدة بريطانيا صاحبة النفوذ في زنجبار ، وبذلك قامت بعزل أثيوبيا عن العالم الخارجي بأغلاق المنافذ الطبيعية على المحيط الهندي ن بعد أن أصبحت أرتيريا تحت حمايتها . (٣٢)

أما فرنسا وبعد أن أنتهت من مشاكلها الداخلية والخارجية بعد عام ١٨١٥ أخذت تتطلع إلى الحصول على مناطق نفوذ لها على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، فقد خشيت فرنسا بعد أن أستولت بريطانيا على عدن وبريم عام ١٨٣٩ من أن تصبح طرق مواصلاتها إلى الشرق تحت رحمتها ، فرأت أن يكون لها وجود في تلك المنطقة ، فأشترت في عام ١٨٦٢ ميناء اوبوك من أحد المشايخ المحليين على خليج تاجورا ، إلا أن بريطانيا أحتجت بأن تلك المنطقة من أملاك الدولة العثمانية ولا يحق لفرنسا أن تشتري اوبوك من غيرها . (٣٣)

ولكن بريطانيا كان لا يهمها مصلحة الدولة العثمانية ، وأنما كانت تخشى من الوجود الفرنسي في تلك المناطق يحد من مشروعاتها الاستعمارية ، وعلى أي حال رأت فرنسا عدم الخوض في معارك سياسية مع بريطانيا في ذلك الوقت لعدة أسباب منها ، أن المنطقة فقيرة ولا تستحق أحتلالها عسكرياً كما كانت فرنسا تلقى بثقلها العسكري في الجزائر وغرب أفريقيا وبثقلها السياسي والأقتصادي في مصر . (٣٤)

إلا أنه بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، أزدادت أهمية البحر الأحمر الذي صار يشكل ممراً بحرياً له أهميته الدولية ؛ لذلك رأت فرنسا من الضرورة العودة إلى اوبوك والاستيلاء على تاجورا ونتيجة لذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى إقامت العلاقات التجارية مع مشايخ الأقاليم الداخلية ، وتمكن لاجارد ، الحاكم الفرنسي ، من عقد معاهدة مع سلطان تاجورا ، تنازل فيها الأخير لفرنسا عن

بلاده الممتدة من رأس علي حتى قبة خراب ، وفي الداخل إلى عصب وتعهد بعدم ابرام أي أتفاقية أخرى مع أي دولة أوربية دون أن تجير فرنسا . (٣٥)

وبعد أن تمكنت فرنسا من السيطرة الكاملة على ميناء تاجورا أوكلت تجديد واحياء اتفاقياتها مع شيوخ العفار أو الدناكل والعيسى المحليين وبذلت جهودها لتعزيز أقدامها في جيبوتي بوصفها نقطة انطلاق مدغشقر ومركزاً لمد السفن بالفحم . (٣٦)

إذ كانت جيبوتي ذا أهمية إستراتيجية لفرنسا التي أصبح لها نفوذ في أثيوبيا ، وعلاقات اقتصادية قوية ، وعملت على تضيق الارتباط الأجتماعي بين أهل جيبوتي بتعميق الانقسام فيما بينهم إلى عفر الذين يسكنون أقليم عفر ، وهي القبائل التي تعرف بالدناكللا ، وقبائل عيسى الصومالية لتصل السيطرة الفرنسية على الاقاليم ولأبعاد الاقليم عن بقية الارض الصومالية الخاضعة للإيطاليين والبريطانيين . (٣٧)

وعليه أستطاعت فرنسا أن تضيف أراضي جديدة حول جيبوتي إلى مناطق سيطرتها السابقة ومن قبائل العيسى بموجب أتفاق سابق بين فرنسا والحبشة عام (١٨٨٤ – ١٨٨٥) ، وفي زمن الإمبراطور منليك الثاني حاكم شوا (١٨٤٤ – ١٩١٣) (٣٨) ، وفي عام ١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسي وضع جميع مستعمراتها في افريقيا الشرقية والمكونة من اوبوك وتاجورا وجيبوتي في وحدة سياسية واحدة عرفت باسم (الصومال الفرنسي) واختيرت جيبوتي عاصمة لتلك المستعمرة . (٣٩)

وهكذا خرجت فرنسا بنصيب الأسد ، حيث ظفرت بمناطق حيوية وفي الوقت نفسه لم تخسر شيئاً واضطرت بريطانيا للاعتراف بحقوقها في بلاد الصومال .

المبحث الثالث

الأثار التي ترتبت على الصراع الأوربي في القرن الأفريقي

كان للقوى المحلية الاقليمية " اثيوبيا" دور وأثر كبير في تفتيت الصومال جنباً الى جنب مع القوى الاوربية ، فمنذ ظهور اثيوبيا بوصفها قوة محلية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شاركت الدول الاستعمارية تقسيم المنطقة التي شملت ارض الصومال التي قسمت إلى خمسة أجزاء وزعت على أربعة دول هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا واثيوبيا والجزء الخامس إلى كينيا ، وقد كان الصومال الغربي أو ما يعرف بالاوغادين قد أحتلته أثيوبيا ويقع في المنطقة الداخلية من القرن الأفريقي . (٤٠)

يذكر أن العداء بين الحبشة والصومال لم يكن جديداً ، إذ يعود قبل ذلك بكثير ، فكانت الحبشة قلعة محصورة بين دول إسلامية والتي كانت يطلق عليها بدول الطراز الإسلامي ، وكثيراً ما كانت تلك الدول تشدد الخناق عليها ، لذلك كانت الحبشة في كثير من الأحيان تستنجد بالدول الأوربية متشرفة بالمسيحية لأسباب سياسية وعاطفية . (٤١)

وكان ملوك الحبشة يحلمون باليوم الذي يجدون فيه منفذاً على البحر الأحمر ، وبذلك كتب الامبراطور منليك (أمبراطور أثيوبيا) رسالة إلى معظم ملوك أوربا وإلى الجمعية البريطانية لمحاربة الرقيق بواسطة اثنين من المبشرين الإنجيليين قال فيها " **إن بلاده بعيدة جداً عن البلاد الأوربية ، وطريقه للساحل وإلى زيلع وتاجورا وعدن مقفول عليه من قبل المسلمين** " . (٤٢)

وقد أستخدم الأمبراطور منليك كل مشاعر العنصرية في حملته حتى حصل على أسلحة حديثة ساعدته في توسعاته حيث أستلم منليك من فرنسا معدات حربية دفعة واحدة مقابل تحويل تجارته من زيلع الى جيبوتي عام ١٨٨٥ بلغت (٤٠) الف بندقية ، و (١٠٠) خوذة حديدية و (١٣) الف مسدس للمشاة ، وقدمت روسيا (٥٠) الف بندقية طويلة و (٥٠) الف بندقية فرسان ، و٥ الاف مسدس ، و(٤٠) مدفعاً ، و (٥) الأف سيف ، وكمية وافرة من الذخيرة ، وكذلك إيطاليا قدمت هدية من ملك ايطاليا عبارة عن (٥) الاف بندقية وأسلحة مقدارها (٢٨) الف بندقية ومدفع ، فضلاً عن مساندة بريطانيا ومساعدتها لأثيوبيا ، حيث تدفقت عليه بالأسلحة والعداة بحجة محاربة تجارة الرقيق . (٤٣)

وبعد ذلك تمكنت أثيوبيا من دخول هرر (٤٤) بعد ان حصلت على مساندة عسكرية من قبل ايطاليا ودخلت القوات الحبشية المدينة بجيش قوامه ثلاثون الف جندي مدججين بأسلحة متطورة

حصلوا عليها من القوى الغربية ، كما ذكرنا ، وبهذه الصورة استمرت الحبشة في توسعاتها على الأراضي الصومالية شرقاً اثر احتلالها مدينة هرر العاصمة الصومالية التاريخية . (٤٥)

وكان منليك يعتزم ضم كل الاقاليم الغربية الصومالية مستغلاً المنافسة الاوربية في المنطقة حيث كان يتعاون عسكريا مع الايطاليين في توسعهم تجاه عصب .

ومن جهة ثانية فقد كان منليك يتعاون مع فرنسا التي كانت تتنافس مع بريطانيا، اذ كانت ترغب فرنسا من خلال تعاملها مع الحبشة في كسب ودها ومن خلال المنافسة الاوربية الموجودة في المنطقة ، إذ تمكنت الحبشة من بسط نفوذها على أجزاء واسعة من منطقة الصومال الغربي ، فقد وصلت قواتها الى منطقة هود . (٤٦)

وهكذا تقطعت أوصال الصومال بين القوى الأستعمارية والدول الطامعة فيه ، إلا أن بطبيعة الحال كان وراء هذه الصراعات والتكالب بين القوى الاوربية أن تظهر أثاراً وانعكاسات كانت سبباً في مشكلات الحدود التي كانت ومازالت في المنطقة .

إذ ترك الصراع الأوربي في منطقة القرن الأفريقي اثاراً لاتزال تنطق بتلك المشكلات اثناء تكالبه على هذه المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر ، وقد ولد هذا الصراع تقسيم المنطقة علاوة على اختلاف في وجهات النظر بين القوى الاوربية بصفة عامة وبين شعوب منطقة القرن الافريقي بصفة خاصة ، حيث اخذت كل دولة تساند الاخرى من أجل مصلحة خاصة تعود عليها بالتوسع على حساب جيرانها دون مراعاة لشعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات . (٤٧)

كان لهذا الصراع في شرق القارة أن أخذت بريطانيا من إيطاليا حارساً لها في تلك الجهات وذلك لعرقلة التقدم الفرنسي في المنطقة ، بالمقابل سمحت لإيطاليا باحتلال مصوع في شباط عام ١٨٨٥ ، وكما شجعت بريطانيا إيطاليا لبسط نفوذها على مناطق أخرى في شرق أفريقيا ليقفوا بوجه أطماع الفرنسيين وساندت إيطاليا في أدعائها بأن سلطان هوبيا وغيره من شيوخ الصومال المستقلين في المنطقة الممتدة من بداية الصومال البريطاني المطل على خليج عدن وبين النهاية الشمالية لأملاك سلطان زنجبار قد ابدوا رغبتهم في وضع بلادهم تحت الحماية الايطالية . (٤٨)

كان الأنتصار الأثيوبي على القوات الإيطالية في معركة عدوة (٤٩) عام ١٨٩٦ الأثر الواضح في أجبار الدول الأوربية على الأعتراف بالسلطة والسيادة الاثيوبية في شرق أفريقيا حتى قيل أن هزيمة الإيطاليين في عدوة قد أعطت قدر ووضعت أثيوبيا على خريطة العالم وأعطتها أربعين عاماً أخرى تنعم فيها بالإستقلال والسلام ، وكان لهذا الاستقلال الفضل الأكبر في تقوية اثيوبيا التي بدأت

عهداً جديداً ، وهكذا ترتب على هذا الصراع الأوربي دخول أثيوبيا في عملية التقسيم الأوربي لأفريقيا (٥٠) .

أدت تلك التقسيمات إلى فصل أبناء القبيلة الواحدة وتوزيع أبنائها على أكثر من دولة ، إذ أن أبناء قبيلة واحدة تفرق إلى ثلاثة أو أربعة أقسام ، حيث لم يتمكن الأخ أن يصل إلى أخية أو الأب إلى أسرته في بعض الأحيان ، فمثلاً قبيلة عيسى التي ينتشر أبنائها من مشارف مدينة هرر ودرطلي وصولاً إلى مدينة جكجكة في أقليم هود حتى ساحل جيبوتي شرقاً ، فقسم منهم وقع تحت الإدارة الحبشية في مدينة هرر وملحقاتها ، كما وقع القسم الثاني تحت الأستعمار البريطاني في المحمية الشمالية ، القسم الثالث منهم تحت الاحتلال البريطاني أيضاً في منطقة الصومال الغربي . (٥١)

أن تلك التقسيمات الأوربية الإستعمارية أدت إلى أن تكون في كل منطقة سياسة مغايرة تماماً عن غيرها من المناطق الأخرى ، إذ أختلف النظام الأجتماعي والسياسي لدى الدول التي تحتل كل منطقة ، فمثلاً بريطانيا التي كانت تحتل معظم الاجزاء الصومالية ، كانت تختلف نظمها الإدارية والإقتصادية والإجتماعية مع تلك النظم المعمول بها عند الايطاليين ، وكذلك النظم الموجودة في فرنسا ، فضلاً عن الحبشة التي كانت تعتبر متخلفة ، إذ أن نظمها لم تكن تتعايش مع النظم الغربية (٥٢) .

كان هذا التقسيم الاصطناعي ينعكس بصورة سلبية على حياة المواطنين وتخريب نظامهم البنيوي العشائري ونظامهم التقليدي المستند أساساً بالحير القبلي (٥٣) ، مما أدى إلى كثر الشكاوي التي تصدر من قبل السكان وزعمائهم لتعبر عن معاناتهم إزاء تلك الممارسات التي تفصل بين أبناء العشيرة الواحدة وتفرق بين القبيلة وبين مراعيها وتحرمهم من الوصول إلى أبارهم . (٥٤)

ولم يكتف الأستعمار بأتباع سياسة التقسيم والعزلة والتفريق بين القبائل الصومالية بل عمل أيضاً على أتباع سياسة التبشير من خلال تأسيس الإرسالية الرومانية في كل من بربرة ، مقديشو ، ومركة ، وبراوة ، وغيرها من المدن ، لخلق جيل منحرف عن دين أجداده يحمل رسالة الأستعمار ويقيم أفكاره على الواقع (٥٥) ، إلا أن سياسة التبشير لاقت رفضاً عارماً من قبل المواطنين تمثلت بثورة الدراويش التي تزعمها السيد محمد عبد الله حسن ، فقد كانت أنطلاقتها الأولى ؛ بسبب تذمر علماء الدين من تلك الممارسات التنصيرية التي كانت تقوم بها الكنائس برعاية الأستعمار البريطاني (٥٦) .

الخاتمة

خلاصة القول أن الدول الاستعمارية قامت بتقريب بعض القبائل على حساب القبائل الاخرى مستغل المشاكل الموجودة بينهما ، لاسيما بعد ان ادركت القوى الاوربية نقطة الضعف بين القبائل الصوماليية وهي تقديس القبيلة والميل للثأر والتمسك بالعادات القبلية، فعمل البريطانيين على تجنيد الصوماليين ضد اخوانهم الصوماليين .

كما أستخدم الإيطاليين الاسلوب نفسه لاضعاف الوطنيين والثوار وقصدوا بعض القبائل لتألبيها ضد القبائل التي ينتمي اليها الثوار ، وسارت فرنسا أيضاً على نفس السياسة ، حيث حرضت العفر ضد الصوماليين لافشال الحركات الوطنية ضد المستعمر وتمكين سياستها الاستعمارية في الاقاليم التي كانت خاضعة لها ، فكانت هذه السياسة الأجتماعية هي التطبيق العملي للمبدأ البريطاني " فرق تسد" .

الهوامش

١. شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ الصومال في العصر الحديث (١٤٨٦– ١٩٦٩) ، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٩.

٢. القرن الافريقي : هو ذلك الرأس من اليابسة على شكل قرن يشق الماء الى شطرين : الشمالي منه البحر الاحمر والجنوبي منه المحيط الهندي ، وعليه فأن القرن يشمل (الصومال والحبشة وجيبوتي وارتيريا) ، بيد ان بعض الجغرافيين وسع الرقعة التي يشملها ذلك القرن فتضم كينيا والسودان ويشغل الصومال معظم مناطق القرن الساحلية التي تقع على المحيط الهندي وسميت المنطقة بالقرن الافريقي لأنه يشبه القرن على خريطة العالم . للمزيد ينظر: جودة حسين ، قارة افريقيا ، دراسة في الجغرافية الاقليمية ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ٧٦.

٣. شوقي عطا الله الجمل ، السودان ووادي النيل ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٨٦ ؛ حسن محمد جوهر وأخرون ، الصومال ، ط١ ، دار المعارف ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٧٨ .

٤. جمال زكريا قاسم ، العلاقات المصرية الافريقية ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص٢٩٢ ؛ عبد الملك عوده ، السياسة والحكم في افريقيا ، ط١ ، مكتبة الانكلو المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٨٢.

٥. جلال يحيى ، التنافس الدولي في شرق أفريقيا، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٨٠، ص ١١٩.

٦. هنتر: ضابط عسكري بريطاني عمل في فرقة بومباي وكان ذات اطلاع بأعمال الشركات البريطانية التجارية وخاصة شركة الهند الشرقية ثم اصبح مقيم بريطاني في عدن : راشد البراوي ، الصومال الكبير حقيقة وهدف ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٢ .

٧. حمدي السيد سالم ، الصومال قديماً وحديثاً ، ج١ ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ – ٩٢.

٨. محمد عبد الرحمن برج ، البحر الأحمر في السياسة الدولية في نهاية القرن التاسع عشر، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٦ ، ص٥١٢ .

٩. مؤتمر برلين : أنعقد المؤتمر في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٨٨٤ ولغاية السادس والعشرين من شباط ١٨٨٥ ، وجمع المؤتمر الدول المتنافسة على أفريقيا إذ حضره مندوبوا أربع عشر دول هي (النمسا– المجر – بلجيكا– النرويج– الدولة العثمانية– الولايات المتحدة الأمريكية – بريطانيا– وسويسرا التي أتبعت سياسة الحياد) ، للمزيد من التفاصيل ينظر: رأفت غنيمي الشيخ ، النشاط الروسي في القرن التاسع عشر ، أعمال الندوة الدولية للقرن الأفريقي معهد البحوث والدراسات الافريقية ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٦٠٩ ؛ سعيد شخير سوادي ، أقليم الصومال الغربي (اوغادين) وواجهات الصراع الصومالي الاثيوبي ، بحث منشور ، جامعة واسط ، كلية التربية ، ص٧.

١٠. حمدي الطاهري ، قصة الصومال ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧.

١١. جلال يحيى ، التنافس الدولي في شرق أفريقيا ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٥٦.

١٢. حمدي الطاهري ، المصدر السابق ، ص٢٧.

١٣. تمام همام تمام ، تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال (١٩٠٠ – ١٩٦٠) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١١ .

١٤. **lewis,J.w. The modrn History of Sonaliland , London , ١٩٦٥.p.٤٠**

١٥. عبدي يوسف فارح ، الصراع الدولي في الصومال ، دراسة في التاريخ السياسي حول الاطماع الخارجية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، ٢٠٠٥ ، ص ١٨ .

١٦. هود ، جزء من الصومال الغربي كانت تحكمه بريطانيا وسلمته الى الحبشة عام ١٩٥٤ ، جامع عمر عيسى تاريخ الصومال في العصور الوسطى والحديثة ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ٥٢ .

١٧. أنفدي هي اختصار للكلمات الانكليزية الثلاث (**Northern Forantier District N.F.D**) تعني المديرية الحدودية الشمالية بمحمية شرق افريقيا البريطانية (كينيا) وهي المنطقة المتنازع عليها بين كينيا والصومال ، نقلاً عن : محمد إبراهيم عبدي عبد الله ، مشكلة الصومال الغربي وأثرها على العلاقات العربية الافريقية (١٩٦٠ – ١٩٨٨) ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص ٣٠ .

١٨. أحمد صوار ، الصومال الكبير ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٥٦ .

١٩. المصدر نفسه ، ص ٣٢.
٢٠. شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ الصومال في العصر الحديث ، المصدر السابق ، ص ١٣١.
٢١. زاهر رياض ، أستعمار أفريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢٥.
٢٢. راشد البراوي ، الصومال الكبير ، حقيقة وهدف ، القاهرة ، ١٩٦١، ص ٣٦.
٢٣. برغش : سيد برغش بن سعيد ال بو سعيد السلطان الثاني لزنجبار بعد أخيه ماجد بن سعيد وهو الابن السابع للسلطان سعيد بن سلطان ولد عام ١٨٣٧ في زنجبار وتولى الحكم عام ١٨٧٠ وهو المسؤول عن تطور البنى التحتية وعمارة المدن ولاسيما (ستون تاون) ساعد على انهاء تجارة الرقيق وذلك بعد توقيعة معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٧٠ فتم منع تلك التجارة داخل السلطنة واغلاق سوق العبيد وتوفي في ٢٦ مارس من عام ١٨٨٨ بزنجبار : عبد الله بن صالح الفارسيين ، البو سعيديون حكام زنجبار ، ترجمة : محمد أمين عبد الله ، ط٢ ، مطابع سجل العرب ، عمان ، ١٩٨٢ ، ص ٢٢.
٢٤. مقديشو : عاصمة الصومال وهي مركز مهم للزراعة والتجارة ومصدر الثروة الحيوانية وفيها مرفأ تجاري وأخر لصيد الأسماك وبها بعض المشاريع الصناعية وتعد من أهم مراكز تصدير الموز والماشية والجلود . للمزيد من التفاصيل ينظر : مسعود الاخوند ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، ج١٠ ، ن : الشركة العالمية للموسوعات ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ ، ص٥٧٢.
٢٥. شوقي عطا الله الجمل ، دور مصر في افريقيا في العصر الحديث ، دار النهضة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٤.
٢٦. تمام همام تمام ، المصدر السابق ، ص ١٥.
٢٧. شوقي عطا الله الجمل ، المصدر نفسه ، ص١٣٢.
٢٨. جلال يحيى ، التنافس الدولي في شرق أفريقيا ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٢٤.
٢٩. **Hess Robert , ltalian colonialisn in samalia , London, ١٩٦٦ . P .٢٦ .**
٣٠. جمهورية الصومال الديمقراطية ، الاقليم الصومالي الخاضع للاستعمار الاثيوبي ، مقديشو ، ١٩٧٤، ص ٧ – ٨ ، نقلاً عن : تمام همام تمام ، مصدر سابق ، ص ١٧.
٣١. مجلة السياسة الدولية ، ملف خاص من الخلاف الصومالي والاثيوبي الكيني ، العدد ١٩ يناير ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٥ .
٣٢. رامية هادي مرهج ، الصراع الدولي في الصومال ١٨٨٤ – ١٩٤٥ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٥.
٣٣. تمام همام تمام ، المصدر السابق ، ص ٥٧٦.
٣٤. راشد البراوي ، المصدر السابق ، ص ٣٦.
٣٥. إبراهيم عبد المجيد ، الاستعمار الفرنسي في الصومال (١٨٨٤ – ١٩٧٧) ، إطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٤.

٣٦. سمعان بطرس فرج ، مستقبل جيبوتي بين اثيوبيا والصومال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٧ ، كانون الثاني ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٤.

٣٧. إلهام محمد علي ذهني ، سياسة فرنسا التوسعية في شرق أفريقيا في النصف الثاني من القرن ١٩ ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ص ٨٩ .

٣٨. رامية ، المصدر السابق ، ص ٩٠.

٣٩. جيبوتي بين الاستعمار والاستقلال ، مجلة صوت فلسطين ، القاهرة ، العدد فبراير، ١٩٧٨ ، ص ٥٤ ؛ صالح خضر محمد ، تدخل الاستعمار البريطاني في الصومال ١٨٨٠ – ١٩٩٠ ، مجلة تكريت للعلوم الانسانية ، مجلد ١٧ ، العدد ٤ نيسان ، ٢٠١٢ ، ص ٥٨.

٤٠. فيحاء كامل عباس الفتلاوي ، أثيوبيا دراسة في الجغرافية السياسية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ١٨٢.

٤١. تمام همام تمام ، المصدر السابق ، ص١٧ ؛ وللمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع ينظر شوقي الجمل ، كشف افريقيا وأستعمارها ، ص (٥٢٣ – ٥٢٦) .

٤٢. تمام همام تمام ، التقارب الاثيوبي الصومالي في عهد ليج اياسو ١٩١٣–١٩١٦، بحث ضمن كتاب اعمال الندوة الدولية للقرن الأفريقي ١ – ٧ يناير، ج ٢ ، المصدر السابق ، ص ٧٤٤.

٤٣. حسن مكي محمد أحمد ، السياسات الثقافية في الصومال الكبير (قرن افريقيا) ١٨٨٧–١٩٨٦ ، دار المركز الإسلامي الأفريقي للطباعة ، الخرطوم ، ١٩٩٠ ، ص٣٢.

٤٤. هرر : مدينة حبشية تقع على قمة تل في ملحق الشرقي من المرتفعات الحبشية حوالي خمسمائة كيلو متر من اديس ابابا تأسست بين القرن السابع والقرن الحادي عشر وبرزت كمركز للثقافة الاسلامية والدين في القرن الافريقي كانت المدينة الوحيدة التي يصادفها المسافر بعد خروجه من زيلع وبربرة وتاجورة وتعد نقطة تتوسط طرق القوافل مما جعل منها مركزاً تجارياً في شرق أفريقيا احتلها المصريون عام (١٨٧٥– ١٨٨٥) : **Burton , foot step in East Africon , London , ١٩٣٦.pp , ٣٠٤ - ٣٠٦.**

٤٥. محمد فريد السيد حجاج ، ص ٣٤ .

٤٦. عبدي يوسف فارح ، المصدر السابق ، ص ٣٢.

٤٧. ليث محمود شكر ، الصراع الدولي على الصومال وموقف القوى الوطنية الصومالية ١٩٤٥ – ١٩٥٨ ، إطروحة دكتوراه ، (غير منشورة) ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٢.

٤٨. إبراهيم عبد المجيد محمد ، الاستعمار البريطاني في الصومال في الفترة ١٨٨٤ وحتى ١٩٢١ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) في الدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص ٤٦.

٤٩. معركة عدوة : موقعة شهيرة دارت بين الحبشة وإيطاليا في مارس ١٨٩٦ ، حين غزت إيطاليا من أرتيريا للسيطرة على الأراضي الحبشية عسكرياً بعد أن كانت تسيطر عليها سياسياً وقد كان عدد الجنود الايطاليين الذين دخلوا المعركة ما بين (١٥ – ٢٧ الفاً من الجنود) بينما تراوح عدد الجيش الحبشي ما بين ٨٠ – ١٢٠ الفاً من الجنود وهزمت إيطاليا في المعركة هزيمة كبيرة إذ وصلت خسارتها إلى ٦ الاف قتيل وما يقارب ١٥٠٠ جريح و ٤٠٠٠ أسير . محمد إبراهيم عبدي عبد الله ، المصدر السابق ، ص ٣٩.

٥٠. أحمد إبراهيم دياب ، تصور بريطاني للخريطة السياسية للقرن الأفريقي والسودان والحبشة ضمن كتاب أعمال الندوة ، المصدر السابق ، ص١٩.

٥١. علي الشيخ أحمد أبو بكر، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠ .

٥٢. علي محمود علي معيوف ، تطور حركة الجهاد الإسلامي الصومالي ضد الاستعمار خلال الفترة بين عامي ١٨٩٩ و١٩٢٠ ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٩.

٥٣. الحير القبلي: أي القانون الصومالي القديم ، لم يكن مكتوباً ولكنه كان كأنه مكتوباً لأن كل حالة كانت لها قواعدها الخاصة بها التي تعرف بها وتحفظ ، وينقسم الى حير عقاب وحير مدني . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد القادر عبد الله عبار ، الدولة والقبيلة من الاستقلال إلى الحرب الأهلية ١٩٦٠ – ١٩٩١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٤٩.

٥٤. علي معيوف ، المصدر السابق ، ص٢٠.

٥٥. المصدر نفسه ، ص٢١.

٥٦. علي الشيخ أحمد أبو بكر ، الصومال وجذور المأساة الواهنة ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ ، ص٤٠ .